دور مراكز حماية الطفولة في رعاية وتربية الطفل المسعف " مركز حماية الطفولة بالعلمة أنموذجا "

د.لونيس علي -أ.ثوابتي حنان
جامعة سطيف.2

مقدمة:

عن عبد الله بن عامر قال: " دعتني أمي يوماً ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاعداً في بيتنا، فقال : ها تعال أعطيك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم " :أما أنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة " رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان . منطلق ندرك به قيمة ابن آدم وقيمة الولد بالنسبة لوالديه فان كان وعده بإعطائه شيء ثم كفه عنه يعد كذبة فماذا عن التخلي عنه لأي سبب كان ؟ وماذا عن إخفاء نسبه عنه ؟ وماذا عن رميه في أرصفة الشوارع ؟ . إن مرحلة الطفولة قاعدة النمو الإنساني، وتعرف هذه المرحلة من حياة الفرد العديد من التغيرات تصاحب مسار نموه ، إذ تحدد من خلالها معالم الشخصية المستقبلية بما فيها سلوكياته ، هذه الأخيرة التي تنشأ وتعزز بفعل الرغبة في إشباع الاحتياجات الجسمية والنفسية ، إضافة إلى أساليب التربية والتنشئة الأسرية التي يفتقر إليها تماما الطفل المسعف الذي لا ذنب له إلا انه ثمرة نزوة عابرة ، فتوكل مسؤولية تربيته للشارع وما يحتويه من مخاطر أو يحضى بحماية الدولة من خلال ضمه لمؤسسات توكل لها مسؤولية رعاية الأطفال المتخلى عنهم معلوم نسبهم أو أطفال مجهول نسبهم فهل تستطيع هته المؤسسات الايواية تعويض الأسرة الحقيقة وهل تنجح في إعداد فرد عادي في المجتمع وتخلصه من اكبر كذبة وهي حقيقة وجوده.

الإشكالية:

تناولت دراسات عديدة التنشئة الأسرية وأجمعت أنها تؤثر في سلوك الفرد، فكلما كانت البيئة الأسرية سليمة كلما روهن على صلاح الفرد،فكيف إن انعدمت هذه الخلية بتاتا ؟ وكيف إن نشأ الطفل وترعرع بين أحضان الشارع أو في أسرة

بديلة إن وجدت أو في مؤسسة الطفولة المسعفة ؟، فهو في كل هذه الحالات يفتقد إلى حنان ، عطف ، رعاية ورقابة الوالدين . وهي العوامل الواجب تواجدها في التنشئة لتعطينا مواطنا صالحا .

إن ظاهرة تواجد الأطفال المسعفين موجودة منذ القدم ، قدم العلاقات الإنسانية . فهي نتاج علاقات غير شرعية حرمتها الديانات . على رأسها الإسلام الذي حفظ الحرمات ونظم العلاقات لإعداد أفراد صالحين بعيدين عن مرتع الرذيلة والجريمة ...إلا أن الظاهرة في تفاقم وتزايد تبعا للتغير الاجتماعي الحاصل وتراجع أدوار عديدة تأتي في مقدمتها دور الأسرة .فان كنا نتفق أن ظاهرة الطفولة المسعفة نتاج عوامل اجتماعية، ثقافية ...فإننا نتفق أكثر أنه في مقدمة هذه العوامل نقص الوازع الديني وغياب الجانب الأخلاقي . وان كانت أسبابها عديدة فان نتائجها وخيمة ، فالطفل المسعف غالبا ما يظهر عليه العدائية والسرقة والكذب .وكلها مظاهر الجنوح والانحراف . لغياب الرقيب وان كان اجتهاد الدولة للحد من مخاطر الظاهرة خلق مؤسسات خاصة للتكفل بهؤلاء الأطفال (لإيوائهم وحمايتهم من الانحراف) . فهذا لا يعني أنها استطاعت حصر عدد كل الأطفال المسعفين واستقطابهم للمراكز إذ يبقى الشارع مأوى للعديدين في حالات تسول ، سرقة واعتداءات بمعنى نجد أشكال عديدة للانحراف والجنوح ...وهو وضع طبيعي لأطفال يفتقرون للرعاية والاهتمام .فماذا عن الأطفال المسعفين داخل المراكز الخاصة بهم ؟ ويقودنا هذا إلى **طرح التساؤلات التالية**:

هل يحضى الأطفال المسعفين بالرعاية والاهتمام اللازمين ؟ هل تؤثر هذه الرعاية في تقويم سلوكهم ؟ إلى أين تمتد هاته الرعاية ؟ وماذا عن الطفل المسعف وعن سلوكه بعد خروجه من مركز الرعاية ؟.

أولا –الطفولة والطفولة المسعفة:

1- الطفل بكسر الطاء : المولود أو الولد حتى البلوغ، فالطفل لغة هو الصغير من كل شيء وأصل لفظ الطفل هو من الطفالة أي النعومة، فالوليد به طفالة ونعومة، وكلمة طفل تطلق على الذكر والأنثى ، والمصدر طفولة .

- تعريف شال وألزابيت الطفولة هي: "مرحلة تمتد من الرضاعة وتستمر حتى الثانية عشر"[1]

- أما الطفل في الشريعة الإسلامية ، فيستخلص مما جاء في كتب الفقه الإسلامي أن مرحلة الطفولة هي تلك المرحلة التي تبدأ بتكوين الجنين في بطن أمه وتنتهي بالبلوغ ، والبلوغ قد يكون بالسن ، أو علامات البلوغ ، فإذا لم يوجد شيء من هذه العلامات الطبيعية كان البلوغ بالسن ، وقد اختلف الفقهاء في تقديره ، فقدره أبو حنيفة في المشهور عنه بثماني عشرة سنة وسبع عشرة سنة للفتاة وقدره الصاحبان بخمس عشرة سنة لكل من الفتى والفتاة في حين ذهب ابن حزم الظاهري إلى تقديره بتسع عشر سنة[2]

- وجاء في قاموس علم النفس: " أن الطفولة هي مرحلة من الحياة تبدأ من النمو إلى المراهقة وأنها المرحلة النهائية الهامة لتغير المولود الجديد لينتقل ويصبح راشدا "[3]

= **التعريف الإجرائي**: كلمة الطفولة هي: " المرحلة الأولى من حياة الإنسان والتي من خلالها يتشكل جانب كبير من شخصيته ، والطفل يعني الولد أو البنت حتى سن البلوغ أو المولود ما دام ناعما ومستمرا في النمو، ويمكن حصر المرحلة العمرية لهذه الفئة منذ الولادة إلى غاية سن 18 سنة " .

2- الطفل المحروم. هو: " الطفل الذي يفقد والديه الأب وألام معا منذ ولادته وانعدام بدائل شخصية ثابتة له ، الأمر الذي يفقد الطفل شكل الحياة الأسرية مما يؤدي إلى إيداعه في احدي المؤسسات "[4]

---

(1) محمد جاسم محمد:النمو والطفولة في رياض الأطفال ،ط1، الأردن دار الثقافة للنشر والتوزيع. ،2004ص55.

(2) دخينات خديجة: وضعية الأطفال غير الشرعيين في المجتمع الجزائري،جامعة باتنة2011-2012.

(3) SALLAMY (N) :Dictionnaire de la Psychologie, Larousse , paris, 1989, P89.

(4) قاسم ، أنس محمد أحمد ":أطفال بلا اسر "، ط1 ، مركز الإسكندرية للكتاب،الاسكندرية2002 اص19.

-الحرمان الأسري.

- هو: " الانفصال عن الوالدين وما في ذلك من فقدان للأثر الخاص الذي ينتجه الرباط العائلي ، فالحرمان من الوالدين هو حرمان من سبل الحياة الأسرية الطبيعية بما ينطوي عليها انقطاع العلاقات والتبادل الوجداني الدائم بالوالدين" [1]

- وهو ايضا : " حرمان الطفل من الأب والأم الطبيعيين قبل أن يوثق يهما ، لما يترتب عليه من انقطاع الإشباع الكمي والكيفي للحاجات النفسية كالحب والعطف ، ومن ثم فان الانفصال يفضي إلى خبرة الحرمان الذي يحدث عندما يودع الطفل في مؤسسه اجتماعية حيث لا تتاح له فرصة عقد علاقة مستمرة مع بديل الوالدين ، ولا يتلقى رعاية امومية وأبوية كافية تسمح له بالتفاعل الحقيقي مع الصور الو الدية بصورة سليمة ". [2]

= **إجرائيا** يعرف الحرمان بأنه: " غياب الطفل عن أسرته الطبيعية من أب وأم وإخوة وإيداعه في احد المؤسسات التي تعتني باليتامى، سواء كان ذلك بموت احد الوالدين أو الطلاق أو أي سبب يسمح بإيداع الطفل في المؤسسة حسب شروط الشؤون الاجتماعية ومؤسسات الإيواء الخاصة " .

-3 مفهوم الطفل غير الشرعي:

تتباين التسميات حول الأطفال الذين يعرفون على أنهم غير شرعيين، فقد يطلق عليهم الأطفال اللقطاء، أو الفاقدين للرعاية الو الدية، أو مجهولي النسب، وحتى أحيانا ينعتون بألفاظ قبيحة كأولاد الحرام أو أولاد الزنا. ويمكن اعتبار هذه التسميات شاملة نوعا ما مقارنة بلفظ "غير الشرعيين " التي تدل على فئة معينة وبخصائص محددة ، فنجد اللقيط جاء نسبة لما يلتقط من الأرض فهو طفل لا يعرف نسبه ولا أصله ، مطروح أمام المساجد أو على الأرصفة أو ضل عنه أهله دون التمييز فلا يكون بالضرورة ناتج عن علاقة غير شرعية .أما بالنسبة للأطفال فاقدين الرعاية الو الدية ، فالتعريف الشامل لهذه الفئة يرى أنهم يحرمون من رعاية الوالدين والأسرة للأسباب التالية :

* من فقد والديه بسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية.
* من فقد أبويه أو أحدهما لأي سبب من الأسباب.

---

[1] القماح ، إيمان محمود" أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسي للطفل "،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس 1983.ص18.

[2] العربي ، بدرية محمد: أثر الحرمان من الوالدين على شخصيته الطفل،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس :القاهرة1988ض13.

* من تم وضعه في مؤسسات نتيجة لأمر قضائي أو إداري.
* الأطفال الذين يصلون إلى دول كلاجئين دون مصاحبة.
* من يعيش ويعمل لفترات طويلة بعيدا عن المنزل " خدم المنازل " .
* اللقطاء أو مجهولوا النسب .

ويغطي هذا التعريف كل فئات الأطفال المحرومين من الأسرة والرعاية الوالدية ولا يقتصر فقط على الأطفال غير الشرعيين

والأطفال مجهولي النسب "هم الذين يولدون وهم مجهولوا الوالدين ، أو الأطفال غير الشرعيين الذين يكون أحد الوالدين غير معروف ، وغالبا ما تكون الأم معروفة والأب يكون مجهولا، ويكون هذا الطفل ناتجا عن علاقة خارج إطار الزواج ، مما يجعل إمكانية وجود النسب غير واردة ، ويدخل أيضا في إطار هذا التعريف الأطفال مجهولوا النسب نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية أو نتيجة الاعتداءات الجنسية داخل الأسرة أو خارجها[1].

4 الطفولة المسعفة:

أ - تعريف الطفولة المسعفة:

ورد في القاموس الاجتماعي المدرسي لأبلاجاس والبليش وآخرون: أن كلمة: " مسعف" جاءت من إسعاف وهو إعانة المنكوبين ونجدة الجرحى أي أسعف إسعافا أي عالج المريض بالدواء ، ويضمن هذا التعريف عنصر الإعانة غير أنها تبقى مجردة ، فالطفل المسعف يبقى دائما ذلك الشخص الذي لديه قصور وعجز يطلب دائما من الآخرين التدخل لتغطية عجزه وقصوره .

ولقد وجدت عدة تعريفات لمصطلح الطفولة المسعفة حيث اختلفت التصنيفات حول هذا المصطلح من عالم على آخر ، وفيما يلي سنتناول تعريفين أساسيين لموضوعنا تبعا للفئة الموجودة بمركز حماية الطفولة محل الدراسة هما :

- نسمي كل طفل مسعف طفل محروم من العائلة ومن التنشئة في الوسط الأسري الأصلي من أبوين شرعيين وكذلك الأطفال في خطر معنوي ومادي .

-الطفولة المسعفة تشمل الأطفال غير الشرعيين المولودين من المحارم أو الأزواج غير زوجاتهم أو من الزوجات غير أزواجهن ، أما اللقيط فهو ولد حديثا ونبذه ذووه خشية الفقر أو ستر العار، سواء كان مولود من سفاح أو من زواج لا يقره القانون

[1] لمياء بلبل واقع الرعاية البديلة في العالم العربي،دراسة تحليلية، المجلس العربي للطفولة والتنمية2008،ص5.

الوضعي كالزواج العرفي . ثم تضطر والدة الطفل إلى التخلص منه بإلقائه أو تركه في الطريق تفاديا للمشاكل أو ستر العار أو غير ذلك من الدوافع المختلفة، فيؤخذ إلى مركز خاص بالطفولة المسعفة ، وفي بعض حالات الزواج يمكن أن يترك الطفل كحالة سجن الأب سجنا مؤبدا أو هجرة العائلة أو تركه بسبب الفقر المدقع حتى لا يتعطل زواجها من رجل آخر.

ب- **التعريف القانوني** :تمثل فئة أيتام الدولة حسب المادة 246 من قانون الصحة العمومية الصادر بتاريخ 77 /1976/10 الوارد في الجريدة الرسمية من الأمر رقم67 أين يوضح الوضعية المادية والمعنوية فيكون استقبالهم تحت وصاية الإسعاف اليومي وهم:

- الولد المولود من أب وأم مجهولين ووجد في مكان ما أو حمل إلى مؤسسة وديعة وهو لقيط .
- المولود من أب وأم معلومين ومتروك منهما ولا يمكن الرجوع إليهما أو أصولهما وهو مترد .
- الذي لا أب ولا أم ولا أصل يمكن الرجوع إليه وليس لديه أية وسيلة لكسب العيش فهو يتيم فقير .
- الذي سقطت عنه سلطة الأبوين بموجب تدبير قضائي وعنصر الوصاية عليه الإسعاف اليومي للطفولة .[1]

= **كتعريف إجرائي** :ان الطفولة المسعفة هي تلك الفئة من الأطفال المحرومين من الأسرة ، أي الوسط الذي يشمل الوالدين والإخوة. وتودع في مراكز خاصة بالتكفل من جميع النواحي النفسية والاجتماعية والتربوية غير أنها تبقى تعاني دوما من الحرمان الذي يولد لها اضطرابات أخرى لأن المراكز المختصة لا يمكنها تعويض الوسط العائلي مهما بلغت درجة التكفل بها.

ج- مشاكل الطفولة المسعفة:

بما أن الطفولة المسعفة هي فئة من فئات الطفولة فإنها تقريبا تعاني من نفس المشكلات التي يعاني منها الطفل العادي إضافة إلى مشاكل تفرضها وضعيته الخاصة وتتمثل المشكلات في ما يلي:

= **المشكلات الصحية:** المشكلات الصحية المرتبطة بمراحل نمو الأطفال وهي نوعان:

---

[1] المرجع نفسه ص7.

* أمراض وراثية : والتي تنتقل من أحد الأبوين أو كلاهما.
* أمراض البيئة : والتي من بينها :

- سوء التغذية وما يترتب عنه من ضعف في النمو الجسمي، فقر الدم...إلخ، وهي من أكثر الأمراض شيوعا عند الأطفال المسعفين وخاصة الذين ليس لديهم رعاية بديلة .
- الإصابة بالطفيليات كالأتكستوما والبلهارسيا والتي تنتشر خصوصا في الريف.
- الأمراض الجلدية الإيوائية لعدم الحرص على النظافة واللامبالاة بمسؤوليتها .
- الإصابة بالروماتيزم ، القلب ، والتهاب اللوزتين ، الحلق والأذن الوسطى.
- الأمراض المعدية كالحصبة والجدري .
- الأمراض الصحية العضوية كالتعرض لبعض الحوادث قبل أو أثناء الولادة

= **المشكلات النفسية:**

إن بعد الطفل عن الجو العائلي أو فصله عن أمه ومحيطه يولد له اضطرابات سلوكية مختلفة ، إذا لم يجد أشخاص يحلون محل الوالدين . لأن نقص رعاية الطفل وإشباع حاجته الأساسية كالحنان مثلا يؤدي به إلى إحباط ، وتنمو لديه نوعين من الميول : الميل إلى العدوان ، والميل إلى البحث المستمر عن الحب والعطف . وبالتالي يصبح غير قادر على التفاعل مع الأنماط الاجتماعية التي يواجهها على الصعيد الاجتماعي، كذلك نتيجة لعدم تحديد مقومات الشخصية القاعدية التي افتقد مميزاتها ، إثر غياب الرعاية العائلية كفقدان الإحساس بالأمن والحب والحنان منذ الولادة. مما يؤثر على الطفل ونظرته نحو المستقبل حيث يجهل دوره الاجتماعي ومساهمته في حياته الاجتماعية كفرد مشبع بقواه النفسية والجسدية. ويمكن تقسيم المشكلات النفسية للطفل المسعف إلى ما يلي: [1]

أ -إضرابات العادات:

هي عبارة عن مشكلات سلوكية تنتج من خلل في القيام بالوظائف البيولوجية الهامة مثل الأكل، النوم، والإخراج .ويحدث ذلك في مرحلة المهد ، ولكنها تستمر إلى ما بعد تلك المرحلة . وفي هذه الحالة يحدث لها تثبيت بعد اختفائها لمدة ، أي يحدث لها نكوص وقد يكون استمرارها أو ظهورها ثانية في شكل مختلف كما كانت عليه في المهد ، ومن أمثلة اضطرابات العادات التي تستمر مع الطفل : قضم الأظافر أو القيء ، التبول اللاإرادي والإمساك(الخاصة بالاخراج) .أما الخاصة بالنوم : مثل صعوبة النوم، الأحلام المزعجة، السير أثناء النوم . وتتصل هذه المشاكل جميعا اتصالا وثيقا بالقلق والتوتر النفسي .

ب - اضطرابات السلوك:

يتمثل في الجنوح والتخريب والسلوك الإجرامي ، وهذه عادة ما تظهر متأخرة أي أثناء الطفولة المتأخرة وفي المراهقة وتفسير ذلك أن هذه المشاكل تتطلب قوة بدنية وحركية لا توجد في مراحل الطفولة المبكرة . ويلجأ الطفل عادة إلى مثل هذا السلوك لإشباع حاجاته بالقوة ، كما قد تكون أحيانا نتيجة الشعور بالعداء نحو الوالدين ورفضهم ، وتدل ايضا اضطرابات السلوك على الصراع بين الطفل والبيئة .

ج -اضطرابات عصابية:

---

[1] اجو ريا جيروس: مجلد الطب العقاري للطفل،الديوان الجامعي للمطبوعات، ط2،1977، ص128.

مثل شدة الغيرة وتعطيل النزاعات العدوانية والخوف المرضي، وتختلف المشاكل التي ذكرناها في أنها نتيجة صراع داخلي لدى الطفل ليست صراعات بينه وبين البيئة ، ففي حالة تعطيل النزعة العدوانية فإن الطفل يكون في صراع بين رغبته في الاعتداء على شخص ما وعدم استطاعته ذلك . فيبدو عليه الخجل وعدم محاولته الدفاع عن حقوقه، أما الخوف المرضي فينتج عن وجود شعور بالعدوان اتجاه شخص ما. خصوصا الوالدين مع عدم الرغبة في إظهار هذا الشعور ، أما في بداية المراهقة فقد يظهر على الطفل أعراض عصابية مثل القلق الهستيري ، أو النوم المرضي، أفكار قهرية وشكوك.

د ـ اضطرابات ذهانية:

- تخلخل في نظام النمو أي عدم إتباعه النموذج العام فقد يبدأ الكلام وفجأة يتحول إلى أبكم .
- اضطرابات في العلاقات الشخصية الأساسية مثلما يحدث في حالات مشاكل التغذية والفطام وغيرها .
- عدم الكفاية والقدرة تتمثل في صعوبة النطق ، الكلام ، اختلال التفكير والانسحاب والانغماس في أحلام اليقظة وعدم القدرة على التعلم . [1]

ه ـ اضطرابات سيكوماتية:

هي عبارة عن عملية تحويل التوتر النفسي إلى مجرى فيزيولوجي أو مظهر جسمي كالحساسية وغالبا ما يفتقد الطفل المسعف الكثير من الحاجات النفسية التي تؤدي به غالبا إلى أن يكون عدوانيا ومعارضا في كل شيء ، كما يحاول الهروب من السلطة وعدم تقبلها. فيجب علينا أن نعي هذه الصعوبة ولكن علينا أن نتعمق أكثر في فحص المشكلات النفسية لدى الطفل المسعف. فهو يحاول تكوين وجه الأم الغائبة وبدرجة ثانية وجه الأب الغائب ، وهذا الأمر في نظره موضوع لا يمكنه التصدي له. كما لا يمكنه الهروب منه فهو يحلم بهذه الأم وهذا الأب وهو يعمل على تقمص شخصيتيهما أو رفضهما. فإنه يسترسل في وضع وهمي من شأنه أن يتناقض مع الواقع الاجتماعي وأن يقدم العذر الذي يعفيه من الجهد الذي تتطلبه أية عملية تكيف ، ويدرك الطفل المسعف أن ولادته لم تكن مرغوبا فيها. وهذا ما يمثل له منطق يأس حقيقي بتداوله أحيانا من هم حوله بشكل غير لائق ولا مبالاة لمشاعر هذا الطفل . ولكي يتم

[1] مهدي عبيد :التربية النفسية للطفل، الديوان الجامعي للمطبوعات، ط-2-1982، ص135.

التصدي لهذه التوترات على نحو أفضل يجب أن نقلل من شأنها ، وقد يلجأ الطفل إلى أنواع من السلوك نلخصها فيما يلي:

- التغلب على إشباع حاجاته باستخدام السلوك العدائي أو السيكوباتي من جنوح ، سرقة ، كذب أو غيرها .
- الانسحاب من البيئة باستخدام الانطواء ، مص الأصابع والتبول اللاإرادي .
- تحول الصراع إلى صراع داخلي يظهر في أعراض مرضية عصابية سيكوماتية ، ويمكن الإشارة إلى أن المشاكل النفسية من أهم المشاكل التي يعانيها الطفل المسعف نظرا للوضع الاجتماعي الصعب الذي يعيشه ويؤثر على حالته بشكل كبير .

= المشكلات الاجتماعية:

العديد من الأطفال يعانون من مشكلات اجتماعية شتى في حياتهم تؤثر بشكل سلبي على شخصيتهم ، وأهم هـذه المشكلات الحرمان العاطفي من الرعاية الأسرية السليمة ، وهو المشكل الرئيسي الذي يعاني منه الأطفال المسعفـون ، بسبب فقدان أحد الوالدين أو كليهما ، في حالة الهجر ، الطلاق أو لأسباب عارضة .كما أن مشكل النسب مشكل أساسي يعاني منه الأطفال غير الشرعيين ، والطفل المسعف باعتباره محروم من كل هذا سيعيش بذلك حياة صعبة مليئة بالمخاطر ، فالاعتراف بأصل الطفل ضروري لتوازنه النفسي. ووجوده داخل المركز يعني بالنسبة له أنه منسي وغير مرغوب فيه ، مما يؤدي إلى صعوبة إدماجه داخل المجتمع مما يسبب له اضطرابات نفسية مختلفة وحتى مشاكل مدرسية مما يؤدي إلى رسوبه ، وحتى الانفصال عن الدراسة وخاصة بالنسبة للفتيات، وهذا راجع إلى الظروف السيئة التي تجعلها غير مبالية لتحصيل العلم. [1]

د- حقوق الطفل غير الشرعي:

بالإضافة إلى الحقوق بالنسبة للأطفال في الظروف العادية ، فإن الأطفال غير الشرعيين باعتبارهم شريحة ذات احتياجات خاصة ، لها حقوق أخرى يمكن ذكر أهمها فيما يلي بإيجاز :

= الحق في النسب:

لا يمكن للطفل غير الشرعي أن يعيش دون اسم ولا هوية ، لذلك يظهر من خلال مطالعة اجتهادات الفقهاء مدى حرصهم على إلحاق الطفل بنسب أبيه متى وجدت قرينة

---

[1] سامية محمد فهمي :المشكلات الاجتماعية الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1997 ، ص. 15.

على هذا الإلحاق ، لذلك توسعوا في وسائل إثبات النسب، وتضييق فرص إنكاره، كما سعى الإسلام لمحاربة اختلاط الأنساب وزواج المحارم وشيوع الفاحشة، وانتشار الزنا. [1]

= الحق في أسرة بديلة:

أكد ميثاق حقوق الطفل العربي ، أن الأسرة هي البيئة الأولى والمفضلة لتنشئة الأطفال ورعايتهم ، وأن الأسرة البديلة هي الخيار الضروري عند تعذر وجود الأولى مقدمة على الرعاية المؤسسية .إن قوانين معظم الدول الإسلامية تتحرج من ظاهرة الأطفال غير الشرعيين ، مما يؤدي إلى هضم حقوقهم خصوصا فيما يتعلق بحضانتهم ، التكفل بهم أو تشجيع الأسر على احتضانهم ، مما زاد من أعداد الأطفال المحرومين من الأسر .

إن منع المشرع الإسلامي للتبني يهدف إلى منع اختلاط الأنساب في حين التعامل مع الأطفال مجهولي النسب برحمة وتفهم ، اعتمادا على عدد هائل من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحض على إكرام اليتيم، رعايته والتكفل به، تربيته وصونه أيا كان سبب اليتم ، وسواء كان اليتيم معلوم أو مجهول الوالدين [2]

= الحق في مورد العيش:

كرست اتفاقية 1989 بشأن حقوق الطفل حق الطفل في النفقة والإسكان . أما الشريعة الإسلامية أوكلت كل طفل بلا عائل إلى بيت مال المسلمين أو إلى الدولة ، فأقامت نظما لتمويل أعمال التكافل[3]

= الحق في التربية والتعليم:

يعتبر التعليم من أهم حقوق الطفل خاصة أن العلم هو مستقبل كل الشعوب والامم ، ومن ثم يجب ضمان حقه في التعليم والراحة والتمتع بأوقات الفراغ والمشاركة بحرية في مختلف النشاطات العلمية والتربوية . ونجد أن الإسلام قد حرص على أن يحصل الطفل على نصيبه من التربية السليمة والعلم التافعة الهادف ، وجعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة،و أكد على انه لا فرق بين ذكر وأنثى، ولا بين محظوظ أو محروم في طلب العلم [4]

---

[1] لمياء بلبل مرجع سابق،ض10.

[2] إسماعيل عوض:حقوق الطفل في الإسلام،دار قباء للنشر والتوزيع،دمشق،ص13.

[3] UNICEF and ISS 2004

[4] إسماعيل عوض مرجع سابق ،ص43.

= **ضمان الاستقرار للطفل:**

كثير من حالات عدم التكيف مرجعها انعدام الاستقرار بسبب النزوح واللجوء والتشرد والافتقاد لأسرة بالخصوص والافتقاد للنسب والهوية وللجنسية سواء في ظروف السلم أو الحرب ، والإسلام هنا أيضا كان السباق لحماية هذه الفئات ، بأن حث على التكفل بالأطفال المتخلى عنهم ومنحهم كل ما يحتاجونه من عطف ، حنان ، تربية وتعليم. واعتبر كل طفل مولود في دار الإسلام حرا منتميا لها، له حقوق على بيت مالها .أما عن اللجوء فليس هناك أبلغ من مثال المهاجرين والأنصار، وما حمله من رموز لإدماج المهاجرين في المجتمع الجديد بشكل مثالي يلزم الاعتبار به .كما أقام الإسلام أخلاقيات للحرب والفتح منها عدم المساس بالطفل والمرأة حاضنة الطفل.

5- **أسباب تفشي ظاهرة الأمهات العازبات:** ظاهرة الأمهات العازبات لم تأت من فراغ ، بل هي وليدة عوامل وتراكمات مختلفة ، اجتماعية ، اقتصادية ، نفسية وتربوية . حيث تعتبر الأسرة والمجتمع هي أساس هذه التراكمات المتمثلة في :

= **المشاكل الأسرية:**

للأسرة دور مهم جدا في التنشئة الأسرية للفتاة في مراحل العمر المختلفة ، والتوجيه الذي يتم عن طريق الأسرة في المرتبة الأولى ، والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المرتبة الثانية ، حتى نهاية مرحلة المراهقة والدخول إلى الحياة العملية بعد مرحلة الرشد واكتمال بناء شخصية الفتاة. فتفكك وتصدع الروابط الأسرية يعتبر عاملا مهما في انحراف سلوك الفتاة ، لأنه يؤدي بها إلى الشعور بالوحدة، الألم والإحباط . فالعوامل الأسرية لها تأثير كبير على شخصية الفتاة إذا نظرنا إلى الخلافات الهدامة التي تتضمن المعايير والقيم التي يعتنقها الزوجين معا والناتجة عن أسباب متعددة، هذه الخلافات من شانها ان تجعل الفتاة لا تشعر بالأمن داخل الأسرة[1] فتبحث عن البديل وغالبا ما يكون شخصا مستغلا لهذه الوضعية التي تعيشها .

= **الأسلوب التسلطي في التنشئة:**

يقصد به أسلوب القسوة والعنف ، بطريقة العقاب البدني والنفسي كالضرب ، التوبيخ . والأسلوب التربوي التسلطي هو دفع الطفل لمستويات أعلى من مستواه ، وعدم ترك الحرية له في الحوار أو الاختيار أو حتى التعبير عن ذاته أو التركيز على

[1] جميل خليل :.السلوك الإنحرافي في إطار التقدم والتخلف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998 ص142.

جانبه العقلي [1] ، ومن مؤشرات هذا الأسلوب استعمال الشتم ، الاستهزاء بشخصية الفتاة ومقارنتها مع غيرها من الفتيات مع الإلحاح على فشلها ، مما يقتل فيها طاقات التفتح والإبداع ، ويدفعها إلى السلبية وسوء التقييم لذاتها وللاخرين .

= **أسلوب اللامبالاة أو الإهمال في التنشئة:**

تؤدي القسوة والتسلط في التنشئة إلى نتائج سلبية تؤثر على الفتاة ، اضافة الى الإهمال واللامبالاة ، حيث هي أيضا من الأساليب الخاطئة في التنشئة الاجتماعية. فمن خلالها تكون الحرية المطلقة للطفل من طرف الوالدين في التصرف في ظل غياب الضبط الأسري ولعل من أهم النتائج المترتبة في هذا المستوى تكوين شخصية اتكالية ، لا تتحمل المسؤولية ، ويصير فيها الطفل غير قادر على تحمل مواقف الفشل والإحباط . وتظهر لديه ملامح الأنانية وحب التملك الشديد . ويعد إهمال الفتاة من قبل والديها ولا مبالاتهم بها سببا في فقدها الإحساس بالأمن والاستقرار سواء المادي أو النفسي ، وقد تتمرد وتسلك سلوكات مرفوضة من أجل شد الانتباه إليها ، كمصادقة رفقاء السوء ، كما تكون عرضةلمختلف الافات الاجتماعية ، في الوقت الذي تفتقر فيه لتوجيه الوالدين ونصحهم. لها. [2]

= **الوضعية الاقتصادية للأسرة:**

تعتبر الظروف الاقتصادية للأسرة من المؤشرات المهمة على مستوى التنشئة الاجتماعية للأبناء . وذلك في مستويات متعددة على مستوى النمو الجسد، الذكاء، النجاح المدرسي ،أوضاع التكيف الاجتماعي. ويتم تحديد العامل الاقتصادي للأسرة بمستوى الدخل المادي الحاصل من طرف أفرادها ، كما يقاس أيضا بقياس مستوى ممتلكاتها .

فالأسرة التي لا تستطيع أن تضمن لأفرادها الحاجات الأساسية تؤدي إلى الشعور بالحرمان والدونية ، وأحيانا يؤدي بهم إلى امتهان بعض الأعمال. وهذا ما يعرف بعمالة الأطفال ، وفي بعض الحالات فإنه يدفع بهم إلى الانحراف وممارسة سلوكات غير مقبولة كالسرقة مثلا . والفتيات اللواتي ينتمين إلى أسرة ذات مستوى اقتصادي منخفض يعمدن إلى تحسين مستواهن خاصة في حالة فقدانهن الوالد المعيل ، من خلال العمل خارج المنزل ، وقد تدفعهن سوء الأحوال لاقتصادية للاسرة إلى قبول كل الفرص المتاحة ، حتى العمل كخادمات في البيوت أو عاملات في المشاغل

---

[1] علي وصفة :الإرهاب التربوي ،جريدة البعث الأسبوعية،العدد8420،دمشق،1998،ص23.

[2] عباس المهدي:الذكاء والتفوق،دار المناهل للنشر والتوزيع،بيروت،1998،ص164.

والمعامل، مما يجعلهن عرضة للتحرش الجنسي أو الاغتصاب والوعود بالزواج ، وفي أسوء الحالات قد يعمدن إلى امتهان الدعارة من أجل تأمين دخل مناسب لأسرهن .كلك هو الحال بالنسبة للأسر ذات الثراء الفاحش إذ تكون مساحة الحرية والاستقلالية كبيرة فيفعل الأطفال مايريدون بكل حرية وتهور (ذكور - اناث)

= **التربية الجنسية**.

إن ثقافة الحياء والعيب في المجتمع الجزائري أدت إلى غياب التربية الجنسية بمفهومها الموضوعي في الوقت الذي يتميز فيه الأبناء بحب الاستطلاع ومعرفة المسائل المتعلقة بالجنس الآخر ، خاصة في ظل الاختلاط بين الجنسين الحاصل في المدارس وأماكن العمل بالإضافة إلى العولمة والانفتاح غير المقنن على الثقافة الغربية ، وما تنقله وسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة من برامج غير مقننة والتي تروج لثقافة الجنس واللاحياء . والشيء المعروف في أسرنا هو تهرب الوالدين من الخوض في أمور كهذه مع أطفالهم وإعطائهم إجابات سطحية. وهذا بدافع الحياء والاحترام وأن الخوض في أمور كهذه هو عيب وعار وحماية لهم من الوقوع في الغواية. [1]

= **غياب الوازع الديني**:

و يأتي في مقدمة كل العوامل ، فمن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور وانتشار الأمومة العازبة ، نقص وضعف الوازع الديني والتغيرات في القيم المجتمعية نتيجة لانتشار الأمية والجهل . بالإضافة إلى الانفتاح على مجتمعات ذات قيم مختلفة وغير محافظة بالإضافة إلى وسائل الاتصال الحديثة التي تساهم في نشر وتوسع دائرة الغزو الثقافي الذي يمثله ذلك الكم الهائل من القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت . هذه الوسائل تملك من إمكانيات الجذب والمغريات ما يمكنه من الدخول في نفوس أكبر عدد من المشاهدين خاصة الشباب الذين يكونون عرضة لبث قيم وأفكار تشكل تهديدا كاسحا للهوية والثقافة الإسلامية .بالإضافة إلى ضعف دور الأسرة والمدرسة والجامعة في تنمية الوازع الديني والأخلاقي وفي زرع الأخلاق الحميدة والحفاظ على القيم الإسلامية.

---

[1] نوال السعداوي وآخرون،التربية الجنسية في المدارس،الدار التونسية للنشر،تونس،1979،ص164.

= الزواج العرفي:

اكتسب الزواج العرفي بعدا كبيرا بعد انتشاره بشكل ملحوظ جدا بين صفوف الشباب ولاسيما شباب الجامعات، ولا يعتبر الزواج العرفي جديدا في المجتمع غير أن انتشاره في السنوات الأخيرة هو الذي جعله ظاهرة ، وهو عبارة عن ورقة يوقع عليها الشاب والفتاة اللذان يرغبان في الزواج ، برضاهما في حضور شاهدين ، على أن يحتفظ كل منهما بنسخة من العقد الموقع دون أي مطالب مادية [1]

6- بعض الإحصائيات حول الأمهات العازبات في الجزائر:

حسب إحصائيات المنظمة العالمية للصحة التي تم الكشف عنها في ملتقى حول الصحة العمومية . أنه يتم تسجيل معدل 5000 أم عازبة في السنة بالجزائر، وهو ما يقابله وجود حوالي 7000 طفل يولدون سنويا خارج إطار الزواج الشرعي في عدة مناطق من الجزائر حسب إحصائيات اللجنة الوطنية للسكان. وحسب تحقيق ميداني حول الأطفال غير الشرعيين والأمهات العازبات أشرف عليها المركز الوطني للدراسات والتحاليل (ceneap) حول السكان والتنمية فان الظاهرة أصبحت أكثر تعقيدا من ذي قبل ولم تعد تعني مجرد خطأ وقعت فيه الأم مثلما كان الاعتقاد سائدا عنه . وأكدت النتائج الأولية للتحقيق الذي أنجز بطلب من المنظمة العالمية للطفولة "اليونيسيف" والتي أظهرت نتائجه النهائية أن ثلث الأمهات العازبات ولدن أكثر من مرة وبعضهن لهن أكثر من ثلاثة أولاد .

و ترتكز الدراسة التي أشرف عليها خبراء من علم النفس والاجتماع رافقهم فيها أطباء متخصصون على التأكيد على خطورة الأمر، كون نتائج التحقيق الذي شمل عينة في حدود 1000 امرأة في 14 ولاية من الوطن أن ظاهرة الأمهات العازبات أخذت أبعاد خطيرة مستدلة في ذلك بكون الكثير من الأمهات سلكن طريق الدعارة والانحلال الخلقي بعدما تعرضن للإقصاء من بيوتهن كون أكثر من 52 بالمائة من هؤلاء الأمهات أعمارهن تقل عن 25 سنة بينما 16 بالمائة منهن تتراوح أعمارهن بين 15 سنة إلى 20 سنة. وعن التوزيع الجغرافي لهؤلاء الأمهات فإنه لم تخل ولاية منهن . إلا أن الدراسة التي أشرف عليها خبراء المركز استخلصت إلى تمركزهم في المناطق الشمالية وأغلبهن يقطن حاليا في مناطق بعيدة عن مساكنهن العائلية ، وجاءت ولاية سطيف في

---

[1] حسن الساعاتي:الجريمة والمجتمع،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1984،ص129.

المرتبة الأولى بنسبة 13 بالمائة ، تليها كل من العاصمة ب 11 بالمائة ولاية سعيدة ب 9 بالمائة ثم تأتي بشار وقسنطينة والشلف بنسب تتراوح في حدود 8 بالمائة.

7- بعض الإحصائيات حول الأطفال غير الشرعيين في الجزائر:

تسجل الجزائر من سنة لأخرى ارتفاعا مقلقا في نسبة المواليد خارج إطار المؤسسة الزوجية أو ما يعرف بالأطفال غير الشرعيين ، حيث بلغ خلال سنة 2010 عدد الأطفال غير الشرعيين المسجلين في المصالح الرسمية نحو 3200 طفل حسب إحصائيات وزارة التضامن الوطني ، فيما تقدر الولادات غير الشرعية بنحو 3000 ولادة حيث يبقى هذا

الرقم غير دقيق بسبب تفضيل العديد من الأمهات وضع مواليدهن بعيدا عن المؤسسات الاستشفائية العمومية أو المصالح المختصة في الحضانة العمومية ، قد تم حسب الإحصائيات نفسها التكفل ب 2000 طفل حسب القانون الخاص ووفق الشريعة الإسلامية ، حتى ينعموا بالدفء العائلي، بينما جرى التنسيق بين جميع المصالح مما سمح بإرجاع 900 طفل إلى أمهاتهم البيولوجية بعدما تراجعوا عن قرار تخليهم عن أطفالهم عند الولادة . بالمقابل تجد وزارة التضامن الوطني صعوبة في التعامل والتكفل بالأطفال غير الشرعيين المعاقين ذهنيا بسبب رفض العائلات الكفيلة تبنيهم بسبب إعاقتهم ، ففي السياق ذاته تشير الإحصائيات عن وجود قرابة 3000 طفل معاق محرومون من الجو العائلي موزعين عبر المراكز المتخصصة التابعة للوزارة المعنية وهي 15 مركزا على مستوى القطر.

و تتعامل وزارة التضامن بعناية خاصة مع هذا الملف بالنظر إلى حساسيته في ظل المشاكل العديدة التي يعانيها هؤلاء الأطفال التي حالت دون اندماجهم اجتماعيا فقد بينت الإحصائيات إلى وجود نحو 75000 شخص بالجزائر يجهلون نسبهم الحقيقي ، ناهيك عن معاناتهم المترتبة عن ذلك سيما عند حصولهم على الوثائق الرسمية حيث

يأملون في أن يتخلصوا من جزء كبير من معاناتهم بمجرد دخول قانون تحديد الأبوة الذي سنته وزارة الصحة [1]

ثانيا- الرعاية البديلة:

من المعروف أن الأسرة هي البيئة الطبيعية لتنشئة الطفل ورعايته ، غير أن بعض الأطفال محرومون من هذه البيئة لأسباب معينة ، فإن المجتمع قد عمد إلى توفير

[1] دخينات خديجة:وضعية الأطفال غير الشرعيين في المجتمع الجزائري،جامعة باتنة2011-2012.

أساليب الرعاية البديلة لهذه الشريحة. ومنها المؤسسات الإيوائية البديلة غير أنه يجدر بنا أن نفرق بين الأسرة البديلة أو المنزل البديل وبين مفهوم الرعاية البديلة ، لأن هذا الأخير أعم وأشمل من مفهوم الأسرة البديلة ، فهو يشمل أشكال عدة من الرعاية البديلة منها :

- الرعاية داخل بيوت التبني .
- الرعاية المؤسسية أو المؤسسات الإيوائية .
- الرعاية في أسر بديلة .

غير أن النوع الأول ليس شائعا في المجتمعات المسلمة التي تحرم التبني لذلك سيتم التركيز على المؤسسات الإيوائية[1].

1- رعاية الأيتام في الإسلام: حفل القران الكريم باليتيم والأيتام بصفه عامة حيث ورد ذكرهم في ثلاثة وعشرين موضعا، مجملها يرغب بالاهتمام بالأيتام والإنفاق عليهم ودفع كامل حقوقهم المالية والاجتماعية ، وآيات أخري تحذر من أكل ماله أو عدم دفع مستحقاته أو الإنقاص منه ومن هذه الآيات يقول الله تعالي: " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ".

ورعاية الأيتام تشمل ثلاث نواحي رئيسية هي:

- **الرعاية المالية** : فقد رأينا الآيات والأحاديث التي تحض علي رعاية أموال اليتيم أو الإنفاق عليه ، ومنذ ذلك ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال: " من قبض يتيما بين المسلمين إلي طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالي اوجب الله تعالي له الجنة البتة لان يعمل ذنبا لا يغفر له " رواه الترمذي .

- **الرعاية الاجتماعية**: دعا الإسلام إلي رعاية الأيتام اجتماعيا ، وضمهم وكفالتهم ، ومرت بنا أحاديث كثيرة في كفالة الأيتام والكفالة تعني الضمانة ، والكافل هو الذي يتعهد رعاية الصغير أو اليتيم ، وقد روي ابن ماجة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين يشير بإصبعيه [2].

- **الرعاية النفسية**: لا يكفي أن نطعم اليتيم ونلبي حاجاته المادية من مأكل ومشرب ومسكن فحسب وإنما تتعدى الرعاية إلي الحاجات النفسية والعاطفية ، التي

---

[1] لمياء بلبل مرجع سابق ص6.

[2] الخياط عبد العزيز :المجتمع المتكافل في الإسلام ،ط2،مؤسسة الرسالة،عمان 1981،ص242.

تعتبر من الحاجات الأساسية للأيتام فهو بحاجة إلي الأمن والاطمئنان للحب وبحاجة للانتماء ، وقد كانت تعاليم الإسلام حاثة على معامله اليتيم معاملة طيبة ، مراعاة لنفسيته لأنة حين فقد أباه شعر بالحاجة إلي من يحميه ، ويقوي عزيمته وأصابه شيء من الذل والانكسار ، مصداقا لقوله تعالى : "فأما اليتيم فلا تقهر "

ثالثا : المؤسسات الإيوائية- مراكز حماية الطفولة:

هي دار لإيواء الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية من الجنسين بسبب اليتم ، التفكك ، التصدع الأسري وفقا لما يسفر عنه البحث الاجتماعي.

هي دار مجهزة للإقامة الداخلية لإيواء الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي حالت بينهم وبين استمرار معيشتهم داخل نطاق أسرهم الطبيعية كالأطفال مجهولي النسب والأطفال الضالين واليتامى وبسبب التفكك الأسري ، المرض أو عجز احد الوالدين . ونجد :

1-أنواع المؤسسات الإيوائية:

ويمكن إدراج بعض أنواع الرعاية البديلة تحت بعض التصنيفات العريضة :

أ .الرعاية المؤسسية الطويلة المدى : تكون مخصصة لشرائح مختلفة من الأطفال فاقدي الرعاية الأسرية كالأيتام ومجهولي النسب وذوي الاحتياجات الخاصة، ويمكن أن تضم أعدادا كبيرة من الأطفال.

ب .رعاية إيوائية طارئة : هي مرافق تعمل على توفير الخدمات الصحية وتلبية حاجات الطفل الأساسية من أمن وغذاء ولكن على المدى القصير .

ج .دور الإيواء : تقدم الرعاية لعدد من الأطفال في دار تخصهم في بيئة تشبه بيئة الأسرة.

د .الوصاية :وهي أن يتم وضع الطفل مع أسرة أخرى لفترات من الزمن حيث يتم قبول الطفل في الأسرة الحاضنة أو البديلة عن الأسرة الحقيقية للطفل. [1]

وحسب ما ورد في التقارير الدولية فإنه وإن اختلفت المسميات المستخدمة للتعريف بأنواع المؤسسات ، إلا أنها تقع ضمن هذه التعريفات، وكذلك الأمر بالنسبة لأشكال الرعاية التي يطلق عليها الأسرة البديلة الحاضنة.

2- **المراحل التي يمر بها الطفل غير الشرعي في المؤسسات الإيوائية**: يمر الطفل غير الشرعي بمراحل مختلفة بالمؤسسة الإيوائية :

---

[1] لمياء بلبل مرجع سابق ص6.

- **مرحلة المقاومة**: من الطبيعي أن يقاوم الطفل إيداعه في المؤسسة لأنه يتخيل أن المجتمع الأسري والأهل قد تخلوا عنه ، ويقع بذلك فريسة الصراع النفسي ، القلق والشعور بأنه شخص منبوذ من المجتمع ومن الأهل، ومن ثم يقاوم الطفل النظم ، البرامج وعمليات التربية ولا سبيل لمساعدة الطفل لتخطي هذه المرحلة سوى تقبله والتعرف على حاجاته للعطف والحنان والإشباع مثل الحاجات إظهار الرغبة الجارفة في مساعدته.

- **مرحلة التقبل**: عندما يبدأ الطفل في الثقة بمن حوله تبدو مظاهر الارتياح النفسي عليه ويبدأ في تقبل مشكلته ويظهر تقبلا واستعداد تلقي النظم والبرامج وعمليات التربية لكن الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى العد والتأييد وتطوير مهاراته وتنميتها واكتشاف إمكانيته في أن يسترجع ثقته بنفسه. [1]

- **مرحلة الإقبال** : عند اكتشاف الطفل أنه لا يزال يكسب ويملك مهارات متعددة لديه وأن له قدرات وإمكانيات خاصة به والتي بواسطتها يؤكد ذاته ويثبت ثقته ، تأتي مرحلة أخرى وهي عملية البناء والجدية لتكوين شخصيته، ويبدأ بالتخلص من رواسب الماضي وقسوة الظروف التي مر بها ، وفي هذه المرحلة يقبل الطفل عل التعلم ويشترك في نشاط الجماعات ويعمل على إتقان تدريبه المهني حتى يسترد مكانته في المجتمع من جديد.

- **مرحلة الانتماء**: كل العمليات السابقة تولد لدى الطفل الشعور بالنجاح وإشباع حاجاته ومن هنا يزداد ولاؤه للمؤسسة ، وتحل في نفسه محل أسرته ، لكن لابد من مراعاة اتزان هذا الانتماء حتى لا يزداد تعلق الطفل بالمؤسسة بدرجة تعجزه عن الانفصال عنها ، كما يتم في هذه المرحلة إعداد الطفل للخروج على المجتمع وتمهيد السبيل له للتكيف مع الحياة الاجتماعية بتوفير الإشراف والتوجيه له.

- **مرحلة التخرج**: هنا يقوم الأخصائي الاجتماعي بمراحل تسمح بتهيئة الجو الأسري الذي يتأقلم فيه وتوفير الأماكن الملائمة لاستقباله ، وهذه المرحلة تعتبر بمثابة فطام نفسي عن نمط الحياة بالمؤسسة وهي تقرر نجاح المراحل السابقة أو فشلها [2]

رابعا – الدراسة الميدانية :

1-الإجراءات المنهجية للدراسة:

- مجالات الدراسة :

---

[1] محمد عزام فريد شحطة ص16.

[2] لمياء بلبل مرجع سابق6.

- **المحال المكاني:** مركز حماية الطفولة طلاع السبتي ببلدية العلمة وهذا بعد صدور الأمر /64 المؤرخ في 1975.09.26 المتضمن إنشاء المراكز المتخصصة في حماية الطفولة والمراهقة تحت وصاية الوزارة المذكورة وتم توسيعه إلى بناية تتشكل من ثلاثة طوابق. يختص المركز بموجب القانون المذكور باستقبال الأحداث أقل من 15 سنة. تقدر الطاقة الإستعابية للمركز بـ 90 حدثا ، يحتوي المركز على طابق أرضي مستخدم كمقر إدارة المركز يحتوي على خمسة مكاتب، إضافة إلى السكنات الوظيفية مطبخ ، مطعم ، مصلحة بيداغوجية (مكاتب الموظفين) مكتبة ، حمام .كما يضم الطابق الأول ثلاثة مراقد يحتوي كل منها على 30 سرير، بهو ، غرفتين للمربين ، قاعة لتبديل الملابس ، مراحيض ، ويضم الطابق الثاني ، 03 أقسام ، 03 قاعات للنشاطات.إضافة إلى مخازن، قاعة للغسيل، مستودع، معمل للصيانة، قاعة علاج، ملعب للرياضة.

- **المجال البشري**: يستقبل هذا المركز الأحداث من سن 08 إلى 15 سنة، محولين من قبل قاضي الأحداث معظمهم من ولايات مختلفة خارج ولاية سطيف. يقدر العدد الحالي للأطفال - 21 حدثا 02 منهم في حالة فرار ليبقى 19 حدثا في المركز معظمهم متمدرس بصفة عادية خارج المركز (04 في مرحلة التعليم الابتدائي،11 في مرحلة التعليم المتوسط) 04 يتلقون تعليمهم داخل المركز. إن مجموع الفريق العامل بالمركز: 34 فردا عاملا يسهر جميعهم على حماية الأحداث: مدير،مقتصد،رئيس مصلحة العمال –مراقب عام-أعضاء الامانة2،3مربون في الفترة الصباحية،4 في الفترة المسائية،معلمون2،ممرض،أخصائي نفساني،أخصائي تربوي،عمال المطعم4،أعوان الامن4،أعوان النظافة3،مفتش الشبيبة1،أسلاك اخرى5

- **المجال الزمني**:أجريت الدراسة من24-12-2012الى27-12-2012

- **أدوات جمع البيانات الميدانية:**

ا-**الملاحظة البسيطة**: تعتبر الملاحظة من الوسائل الأساسية في جمع البيانات، خاصة تلك التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة حيث أنها تهدف إلى:

- التعرف الواقعي لمتغيرات الظاهرة موضوع الدراسة.

- تحقيق فهم أعمق لما يدور داخل المؤسسة مجال الدراسة من نشاطات وانفعالات وتوترات ومخاوف ومختلف السلوكيات والتصرفات الصادرة عن الأطفال وردود أفعال المشرفين داخل المركز.

معرفة الخدمات المقدمة مع الأطفال ومدى فعاليتها وجدواها.

وقد طبقت هذه الأداة في المركز بعد الحصول على ترخيص من قاضي الأحداث بحضور النشاطات المقدمة للأطفال في المركز، وحضور جلسات مع الأخصائي النفساني بل الحضور مع الأحداث في الأعمال الجماعية (مثل مشاهدة التلفاز، فترة الغداء..).

ب- المقابلة غير المقننة (الحرة)

تعتبر المقابلة وسيلة من وسائل جمع البيانات الميدانية وذلك بإجراء محادثة موجهة بين الباحث والشخص أو أشخاص آخرين . والتي عرفها الدكتور رشيد زرواني بأنها: "تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات أو آراء ومعتقدات شخص آخر أو أشخاص للحصول على بعض البيانات الموضوعية " [1] . وقد اختير لبحثنا المقابلة غير المقننة وهي "تلك المقابلة التي لا تحدد أسئلتها تحديدا دقيقا سابقا، مما يتيح الفرصة أمام المبحوث للتعبير عن شخصيته تعبيرا حرا تلقائيا.

- **العينة**: اخترنا عينة من الأحداث تم اختيارهم عشوائيا ومحاورتهم حول أسباب دخولهم المركز ومدى تقبلهم لوضعهم ومدى رضاهم عما يقدم.وكذا مقابلة مع المربين والأخصائيين والإداريين ودار الحوار حول النقاط التالية: - كفاية هذه المراكز على المستوى الولائي.عملية توجيه وإحالة هؤلاء الأطفال إلى المركز،مدى كفاية الميزانية المخصصة للمركز،كفاية وكفاءة الأخصائيين بالمركز، تواجد أطباء بالمركز.، توفر المركز على وسائل الاستعجالات الطبية ،اجتماع أعضاء المركز لمناقشة حالات الأطفال ومايتجدد عن سلوكياتهم، توفر المركز على الاختبارات النفسية. تطبيق ما توفر من الاختبارات النفسية، مساعدة الاختبارات النفسية المطبقة على فهم شخصية الطفل المسعف.، استخدام نتائج

[1] رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ،ط1، دار هومة للطبع، الجزائر، 2002، ص 148.

الاختبارات في برامج تعديل السلوك، معرفة المشاعر التي تنتاب الأطفال المسعفين داخل المركز ، أساليب الرعاية النفسية المنتهجة ، الوسائل المستخدمة لتقديم هذه الرعاية ، تواجد أخصائيين اجتماعيين بالمركز ، مدى المساهمة في تعديل نظرة المجتمع للطفل المسعف ، برامج الرعاية الاجتماعية المقترحة، تكيف الطفل المسعف ومدى اندماجه مع المربين . نظرته للمركز. اندماج المسعف مع زملائه- تأثيره وتأثره- معرفة حالات الأطفال المسعفين بعد خروجهم من المركز.

نتائج الدراسة: خلصت دراستنا ، إلى أن مراكز حماية الطفولة تقوم بوظيفة سامية نثمن مجهودات القائمين عليها من خلال توفير الدعم المادي والمعنوي للطفل المسعف، من مأكل ، ملبس ، إيواء وتعليم فالطفل المسعف داخل المركز أفضل بكثير من طفل الشارع الذي يبقى فريسة سهلة المنال. فهو يتعرض لاعتداءات ، تحرشات واستغلال العديد منهم في عمليات التسول المنظم الذي تفشى في الولاية أو جرائم السرقة والتعاطي وغيرها . إلا أن هاته المراكز تفتقر إلى الإمكانيات اللازمة والكاملة سيما المختصين المؤهلين المدركين لخصوصية هاته الفئة وحاجاتها التي تفوق حاجات ومتطلبات الطفل العادي ، الذي وان تجاوزنا مطالبه كان رده التمرد والانحراف أو الانطواء والسلبية فماذا عن أطفال اقل ما يقال عنهم أنهم ذوو بنية نفسية هشة فرضتها وضعيتهم الاجتماعية وإن كنا نعترف بجهود الدولة في خلق مثل هذه المراكز إلا أننا نعيب عليها في:

- يضم المركز محل الدراسة شريحة واسعة من الأطفال ممن هم في خطر مادي أو معنوي – أطفال غير شرعيين، منبوذين من قبل أهاليهم وأطفال جانحين ارتكبوا جرائم السرقة المتكررة والاعتداء - ومن شان الاحتكاك بين هاته الفئات التأثير المتبادل وتعلم سلوكيات خاطئة سهل جدا على اللقيط التأثر بها لبنيته الهشة وانعدام الرقيب.

- إن العلاقة بالطفل داخل المؤسسة هي علاقة مهنية جافة ، فالوالدية فيها تمارس كوظيفة فقط . والوظيفة مسؤولية وحساب ولهذا فإن نمط التفاعل والتعامل داخل المؤسسات يتسم بالجمود والروتينية ، فهو نمط تأدية مهام ، ينفق فيه الوقت ، الجهد والمال لتحويل الطفل المحروم من والديه إلى طفل معتنى به جسميا في أحسن الأحوال ، ولكنه يظل محروما من كل مقومات الحياة العاطفية،

- ومن هنا يبرز عامل وهو تغيير المربيات باستمرار إما لانتقال المربية وتركها العمل، أو لتغيرها طبقا لنظام الورديات وهنا نرى أن الأطفال الذين يكونون في رعاية أشخاص متغيرين يبدون أكثر قلقا واضطرابا وأقل شعورا بالأمن من الأطفال الذين يكونون في رعاية أشخاص دائمين .

- استخدام الأساليب التقليدية في الرعاية " نظام روتيني " يحد من الطبيعة الإنسانية للطفل وحبه للاستكشاف والاطلاع بل وحب الخطأ أحيانا ، فهو طفل لا يستمتع بحرية الكلام واللعب والجري والتجريب والاستطلاع .وبالتالي فهؤلاء الأطفال فقدوا الثقة في أنفسهم ويعانون الخوف من تحمل المسؤولية . فنظام المركز يرى أن منح الطفل الحرية والاستقلالية يهدد سيطرته عليه ، وبالتالي فالأفضل أن تقضى له الحاجات دون تدخل منه ، تلك الحاجات التي تفرض عليه لا التي يريدها ويرغبها . وبالتالي فهناك كف دائم لأوجه النشاط والحركة ومحاولة استكشاف البيئة.

- عدم توفر المركز على اختبارات نفسية جادة تطبق من حين لأخر لمعرفة ما يستجد من مشاعر ورد على الطفل .

- انقطاع تام للعلاقة بين الطفل المسعف والمركز بمجرد خروجه منه وتعديه مرحلة الخطر.

- **استخلاصات ختامية**:

إن الأمومة العازبة في مجتمعنا المسلم المحافظ ظاهرة مستنكرة وخطيرة لأنها تقسم المجتمع إلى قسمين، مجتمع شرعي يتمتع بكل حقوقه الإنسانية ومجتمع غير شرعي غير معترف به نصيبه التهميش والتحقير يدفع ضريبته الغالية الأطفال الذين يبقون موضع تحفظ لدى العديدين . وديننا الحنيف كان السباق في دعوته لرعاية الطفل المسعف غير شرعي كان أم يتيما وذلك على أساس الأخوة في الدين لقوله تعالى: " فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم".الأحزاب الآية 5 . ودعا الرسول الكريم إلى كفالة اليتيم وخص كافله بمنزلة رفيعة في الجنة بعده صلى الله عليه وسلم في قوله: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال الرسول الله صلي الله عليه وسلم ": أنا وكافل اليتيم هكذا ، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطي وفرج بينهما" - رواه البخاري – وروي ابن ماجة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر

بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين يشير بإصبعيه " . فديننا الحنيف يعي تماما انه لا بديل عن الأسرة الحقيقية إلا أسرة مثيلة. وتحفظ الأسر حاليا من التكفل باليتامى هو الخوف من عدم رعايتهم رعاية مثلى مستجيبة لتطلعاتهم وحاجاتهم وخوف اكبر من الأطفال أنفسهم فان كنا نخاف من الفشل في تربية أبنائنا أمام مغريات العصر فكيف عن أبناء لهم تركيبة نفسية خاصة أفرزتها خصوصية حياتهم ووضعيتهم وكذا مرحلتهم الجنينية الحافلة بمغامرات الأم اللامبالية وما انتابها من قلق وخوف والتخطيط للتخلص من الطفل فنحن كدارسين في علم النفس نقر أن المرحلة الجنينية لها أثرها البالغ على سلوكيات الفرد.إن الشريعة الإسلامية حسمت أمر الولادة غير الشرعية وحرمت العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج فهو من اكبر الكبائر بعد الشرك وقتل النفس لقوله تعالى": والذين لا يدعون مع الله اله أخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى آثاما" ففي الوقت الذي شدد فيها ديننا الحنيف عقوبة الزاني المحصن بالرجم حتى الموت رجلا كان أم امرأة وعقوبة غير المحصن بالجلد 100جلدة يكتفي القانون الجزائري بالعقوبة سنتين بل ويجتهد في التفكير في الأم العازبة بتخصيص مبلغ شهري لتشجيعها على الاحتفاظ بمولود ها

- **التوصيات والاقتراحات** :

- تشجيع الأسر لا سيما التي تعاني العقم على كفالة الطفل المسعف وذلك ماديا ومعنويا لا مكافأة الأم العازبة

- الفصل في المراكز أي مراكز خاصة بالأطفال غير الشرعيين وأخرى خاصة بالجانحين لا إدماجهم تحت مسمى واحد " مراكز حماية الطفولة من الخطر المادي والمعنوي"

- الرفع من مستوى الخدمات المقدمة بالمراكز بتشغيل المؤهلين للرعاية واستغلال امثل للدارسين في مجالات علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع .

- الثبات والاستقرار في المربين وتشجيعهم ماديا ومعنويا وزيادة إعدادهم لتوفير رعاية مثلى على الأقل مربية لكل 3اطفال

- توفير الإمكانات المادية للمراكز لترقى مهامها للمستوى المطلوب .

- ضمان مساعدة مادية للأسر الفقيرة التي تتخلى عن أطفالها الشرعيين بدافع الفقر بعد وفاة الوالد أو سجنه وإجبارها على التكفل به بل وعقابها حال تخليها عنه.

- اعتماد قانون فحص ADN لمعرفة هوية الطفل وإلحاقه بذويه وهذا من شانه التخفيف من العلاقات غير الشرعية التامة ، بالنسبة للأطفال الشرعيين

- الرجوع إلى تعاليم الدين الحنيف بتشديد العقوبة على الزاني والزانية .

- التشدد في عقاب المغتصب وحماية ، رعاية المغتصبة ومعاملتها كضحية لا مجرم

- دمج الأطفال المسعفين في المجتمع بتفعيل التفاعل الايجابي خارج المركز رحلات نشاطات خارج المركز وتعليمهم نهارا بالمدارس العادية

- تشجيع المجتمع على تقبل الطفل المسعف من خلال ندوات ، مؤتمرات وتشجيعه هو بتقبل حالته بإثراء بيئته والرفع من مستوى تطلعاته وأماله وتجاوز مشكلة هويته

- الإعلام لاسيما المدرسي بخطورة العلاقات غير الشرعية وما وراءها من أمراض وأضرار .

- تشجيع الزواج سيما الزواج المبكر قال رسول الله من أراد منكم الباءة فليتزوج مع ضرورة التوعية بحسن الاختيار مصداقا لقوله: " تخيروا لنطفكم إن العرق دساس ".

- الانتباه إلى ظاهرة الزواج العرفي الذي لم يقتصر على الشباب فحسب بل تعداه إلى راشدين ومتزوجين.